قادة فتح إرمينية من الصحابة

١ ـ عياض بن غنم[١] فاتح الجزيرة وشطر إرمينية

٢ ـ عثمان بن أبي العاص[٢] فاتح إرمينية الرابعة

٣ ـ ذو النور سراقة بن عمرو[٣] فاتح باب الأبواب

٤ـ ذو النور عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي فاتح بلنجر والبيضاء بلاد الخزر

٥ ـ سلمان بن ربيعة الباهلي فاتح شطر إرْمينية

٦ ـ حبيب بن مسلمة الفِهْري فاتح شطر إرمينية وشطر بلاد الروم

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤١٩) الصحابي القائد الفاتح الشهيد ذو النور عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي فاتح بَلَنجر[١] والبيضاء من بلاد الخزَر[٢]

هو الصحابي عبدالرحمن بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سَهْم بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن الباهلي أخو سلمان بن ربيعة وهو أسن منه. نسبوا إلى باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة، نسب وَلدُ مَعْن إليها.

قال أبو حاتم له صحبة، وذكره البخاري في الصحابة وابن عبدالبر. يُعرف عبدالرحمن بذي النور قال ابن حجر «**قلت: وقد ذكرنا غير مرّة أنهم ما كانوا يُؤمِّرون في الفتوح إلا الصحابة**»[٣].

- **جهاده:**

كان العراق ميدان جهاد عبدالرحمن بن ربيعة ولما وجّه عُمر سَعْدً على القادسية جعل على قضاء الناس عبدالرحمن بن ربيعة، وجعل إلى قسْم الفيء والأقباص، وهذا يدل على أمانته وعلمه وفقهه.

وظهرت بطولة عبدالرحمن في القادسية وحين فرّ الفرس بعد هزيمتهم ثبت أمام عبدالرحمن قائد من قوادهم وهو ابن الهربذ فنازله عبدالرحمن وصاوله وقتله[٤].

ثم استعمله عمر على «**الباب**» و«**الأبواب**» وقتال الترك[٥].

---

(١) بَلَنجر: مدينة ببلاد الخزر خلف مدينة باب الأبواب. . وهي من بلاد إرمينية.

(٢) بلاد الخزر: هي بلاد الترك خلف مدينة باب الأبواب، وهي من إرمينية.

(٣) الإصابة: (٤/٢٥٧ ـ ٢٥٨) ت (٥١٣٤)، وأسد الغابة: (٣/٤٤١) ت (٣٣٠٦)، والاستيعاب ت (١٤١٧).

(٤) الكامل: (٢/٣٣١).

(٥) أسد الغابة: (٣/٤٤٢)، والإصابة: (٤/٢٥٨).

في سنة ٢٢ هـ كان فتح «**الباب**» بعث عمر بن الخطاب سراقة بن عمرو وكان يُدْعَى ذا النور إلى «**الباب**»، وجعل على مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة، وجعل على مجنبتيه حذيفة بن أسيد الغفاري وبكير بن عبدالله الليثي.

فلما أطلّ عبدالرحمن بن ربيعة على الباب والملك بها يومئذ «**شهربراز**»(١) وهو من ولد «**شهريار**» الذي أفسد بني إسرائيل وأغزى الشام بهم، فكاتبه شهريار واستأمنه على أن يأتيه، ففعل فأتاه فقال: «إني بإزاء عدوٍّ كَلِب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب، ولا ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعينهم على ذي الحسب، ولست من «**القبج**»(٢) ولا الأرمن في شيء، وإنكم قد غلبتم على بلادي وأمتي، فأنا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وجزيتي إليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تسوموننا الجزية فتوهنونا بعدوكم» قال: فسيّره عبدالرحمن إلى سراقة فلقيه بمثل ذلك، فقبل منه سراقة ذلك وقال: «لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو» فأجابه إلى ذلك، وكتب سراقة في ذلك إلى عمر فأجازه عمر واستحسنه(٣).

وشهد على عقد سراقة مع شهريار عبدالرحمن بن ربيعة وأخوه سلمان بن ربيعة(٤).

ولما مات سراقة استخلف بعده عبدالرحمن بن ربيعة، فلما بلغ عمر ذلك أقرّ عبدالرحمن على فرْج(٥) الباب وأمره بغزو الترك(٦).

- **غزو عبدالرحمن الباهلي لإرمينية والترك:**

لمّا أمر عمر عبدالرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج الناس حتى قطع الباب فقال

---

(١) هو عند الطبري: «شهربراز» وفي الكامل: «شهريار».
(٢) القبج: أمة من الأمم في جبل «القَبَق» أو «القَبْج».
(٣) الكامل: (٢/٤٣٠).
(٤) تاريخ الطبري: (٣/٢٣٧).
(٥) الفرْج: الثغر المخوف. وفروج الأرض: نواحيها.
(٦) الطبري: (٣/٢٣٧)، والكامل: (٢/٤٣٠ - ٤٣١).

له شهريار: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد غزو «**بَلَنْجَر**» والترك.

فقال له الملك شهريار: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب.

قال عبدالرحمن: لكنا لا نرضى منهم بذلك حتى نغزوهم في ديارهم، وباللَّه إنّ معنا أقوامًا لو يأذن لهم أميرنا في الإمعان لبلغت بهم الرّدم (١). قال: ما همه؟

قال: أقوام صَحِبوا رسول اللَّه ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنِيّة، كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرّمهم، ولا يزال هذا الأمر لهم دائما، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرّهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم.

فغزا (بلنجر) غزاة في زمن عمر فقال الترك: ما اجترأ علينا إلّا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت. فهربوا منه وتحصنوا، فرجع بالغنيمة والظفر، وقد بلغت خيله البيضاء على رأس مائتي فرسخ من «**بلنجر**»، وعادوا ولم يُقتل منهم أحد.

ثم غزاهم أيام عثمان بن عفان غزوات فظفر كما كان يظفر حتى تبدّل أهل الكوفة لاستعمال عثمان رضي الله عنه من كان ارتد استصلاحًا لهم، ولم يصلحهم ذلك، فزادهم فسادا، فغزا عبدالرحمن بن ربيعة بعد ذلك فتذامرت الترك واجتمعوا في الغياض فرمى رجل منهم رجلًا من المسلمين على غِرّة فقتله، وهرب عنه أصحابه فنادى التركي في قومه «**إن هؤلاء يموتون كما تموتون، فلمَ تخافوهم؟!**» (٢).

فخرج الترك عند ذلك فاقتتلوا واشتد قتالهم، ونادى منادٍ: «**صبرًا آل عبدالرحمن وموعدكم الجنة**».

فقاتل عبدالرحمن حتى قُتِل وانكشف أصحابه، وأخذ الراية سلمان بن ربيعة أخوه فقاتل بها، ونادى منادٍ: «**صبرًا آل سلمان**».

فقال سلمان: أو ترى جزعا؟!، وخرج سلمان بالناس معه أبو هريرة الدوسي

---

(١) عند الطبري: «الروم» والمقصود به «سد الصين» قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ [الكهف: ٩٤]. وفي الكامل: (٣/٤٣١): الروم.

(٢) الطبري: (٣/٢٣٨)، ومعجم البلدان: (٢/٢٧٨).

على «**جيلان**»[١] فقطعوها إلى «**جرجان**»[٢] واجترأ الترك بعدها[٣] ودُفِن عبدالرحمن بناحية من نواحي «**بلنجر**».

- **يا لفهم عبدالرحمن وبطولته:**

لقد فهم عبدالرحمن ما لم يفهمه غيره. . فهمه ووعى سبب النصر والهزيمة، فبعد أن أثنى على الصحابة الذين معهم قال: «**ولا يزال النصر معهم حتى يغيرّهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم**». . غزا سلمان بصحابة رسول اللَّه الذين كان الإخلاص شارتهم وعنوانهم، وكان التجرد كل التجرد لله هو همّهم، فغزوا «**بلنجر**» غزاة لم تئم فيها مسلمة، ولم يُيَتَّم فيها صبي مسلم، ولهلع الترك ورعبهم . .ظنوا أن الملائكة تمنع المسلمين من الموت. . ونصر اللَّه المسلمين بالرُّعب. . وبلغت خيول المسلمين «**البيضاء**» على مسافة مائتي فرسخ من «**بلنجر**» أي أكثر من ألف ومائة كيلو متر، هذا واللَّه القصص الحق وإن كان أغرب من الخيال. .أحلى من الشهد . . وأفوح من شذا الورود وأضوأ من شعاع الشمس. . هذه صفحة بطولة من بطولات الجيل القرآني الفريد جيل الصحابة.

- **ورع الباهلي وعِفّته:**

وصف الباهلي إخوانه من الصحابة وصفًا بليغا ـ وهو منهم ـ فقال: «كانوا أصحاب حياء وتكرّم في الجاهلية فازداد حياؤهم وتكرّمهم بعد إسلامهم».

والحق أنّ تصرف عبدالرحمن مع المغلوبين كان له أكبر الأثر في استتباب الأمن واستقراره وانتشار الإسلام، فقد كان وفيًا غاية الوفاء، أمينًا غاية الأمانة.

فقد أرسل ملك (الباب) رسولًا إلى ملك «**الصين**» مع هدايا، وذلك قبل أن

---

(١) جيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وليس في جيلان مدينة كبيرة، إنما هي قرى في مروج بين جبال، والعجم يقولون: كيلان.

(٢) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهي أكبر مدينة بنواحيها.

(٣) الطبري: (٣/٢٣٨)، والكامل لأبن الأثير: (٢/٤٣١ ـ ٤٣٢).

يفتح المسلمون بلاده، فعاد رسوله من رحلته بعد فتح المسلمين لتلك البلاد، وكان مع الرسول العائد هدايا من ملك الصين، بينها ياقوتة حمراء ثمينة، وكان ملك «**الباب**» حين عودة رسوله في مجلس عبدالرحمن؛ فتناول الملك من رسوله تلك الياقوتة ثم ناولها عبدالرحمن، ولكن عبدالرحمن ردّها فورًا إلى الملك بعد أن نظر إليها، فهتف الملك متأثرا وقال: «لَهَذه - يعني الياقوتة - خير من هذا البلد - أي باب الأبواب - وأَيْمُ اللّه لأنتم أحبّ إليّ حُكّامًا من آل كسرى، فلو كنتُ في سلطانهم، ثم بلغهم خبرها، لانتزعوها مني!!! وأيم اللّه لا يقوم لكم شيء ما وفيّتم ووفى ملككم الأكبر»[1].

وبمثل هذا الورع والوفاء في أجمل صورة والأمانة في أبهى معانيها والبطولة في عنوانها الأكبر حكم عبدالرحمن الباهلي وظل واليا على «**الباب**» من سنة اثنتين وعشرين الهجرية حتى سنة اثنتين وثلاثين الهجرية في عهد عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه. وتوّج خاتمة حياته بالشهادة أجمل خاتمة.

- **عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي قائدا:**

«كان عبدالرحمن قائدًا عَقَدِيًّا من الطراز الرفيع، وكان لتمسّكه الشديد بعقيدته موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه على حد سواء، بالإضافة إلى شجاعته وإقدامه وعلمه بأمور الدين. لذلك بقي قائدًا لمنطقة «**باب الأبواب**» وواليا عليها منذ وفاة سراقة بن عمرو حتى استُشهد، لم يعزل من منصبه على الرغم من تبدّل الخلفاء وتغيّر الولاة والقادة في الكوفة مرجع عبدالرحمن المباشر.

وكان عبدالرحمن يُؤمن بوسائل حرب الفروسية الشريفة، فلا يخون ولا يغدر. وكان رفيقًا حليما حتى بأعدائه في ساحة القتال - وذلك بعد أن تنهار مقاومتهم فلا يبقى لهم حول ولا قوة.

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/٢٣٩).

وكان يكرم عزيز قوم ذلّ، فلا يدعه يشعر بالمهانة، وحسبنا أن نذكر معاملته الكريمة لملك «**باب الأبواب**»: يُحضره مجلسه، ويستشيره في أمره، ويتركه حرًّا طليقا كما يشاء بين قوم من غير رقيب ولا حسيب!

فمن يترك ملكا خسر ملكه في الحرب في مملكته بالذات وبين قومه ورعيتّه، غير الذين يعتمدون على أنفسهم ويثقون بها ويُراعون الجانب الخُلُقي في الحرب؟!!

تلك الأخلاق المحاربة التي كان يتحلّى بها عبدالرحمن، جعلته موضع ثقة قادته وجنوده وحتى الشعوب والحُكّام الذين غلبهم في الحرب، مما سهّل عليه مهمته القيادية والإدارية.

وأصبحت منطقة «**باب الأبواب**» وجنوب بحر الخزر وغربه لسيرة عبدالرحمن الباهلي الحسنة قاعدةً أمامية لنشر الإسلام والفتح شمالا، وثبت الإسلام في تلك الأصقاع النائية الشاسعة.

فرضي اللّه عن الصحابي الجليل، القاضي العادل، العامل الأمين، القائد الفاتح، الفارس الشهيد، ذي النور عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي(١).

* * *

(١) قادة الفتح الإسلامي في إرمينية: ص ١٥٥، ١٥٦.

(٤٢٠) الصحابي القائد الفاتح الشهيد سلمان الخيْل سلمان بن ربيعة الباهلي رضي الله عنه فاتح شطر أرمينية

هو الصحابي البطل أبو عبد اللَّه سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سَهْم بن نضْلة بن غنْم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصْر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار الباهلي الكوفي(١).

قال ابن حجر: مختلف في صحبته،قال أبو حاتم: له صحبة. وقال أبو عمر: ذكره العقيلي في الصحابة، وهو عندي كما قال أبو حاتم.

وقال ابن مندة: «ذكره البخاري في الصحابة، ولا يصح»(٢) والرأي الأقوى أنه صحابي فإنهم ما كانوا يؤمرون في عهد أبي بكر وعمر إلّا الصحابة.

ويُقال له: سلمان الخيل.

- **جهاده:**

قال الحافظ ابن عساكر: شهد فتوح الشام مع أبي أمامة الباهلي، ثم سكن العراق وولّاه عمر قضاء الكوفة، ثم ولي غزو أرمينية في خلافة عثمان فقُتِل ببَلَنْجَر(٣).

- **سلمان بطل من أبطال القادسية:**

برز اسم سلمان في الجهاد في فتوحات العراق فقد ولّاه سعد بن أبي وقاص

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي: (١/٢٢٨)، و«جمهرة أنساب العرب»: (٢٤٥ - ٢٤٧).

(٢) الإصابة: (٣/١١٧) ت (٣٣٦٦)، وأسد الغابة: (/) ت (٢١٤٧)، والاستيعاب ت (١٠١٦)، وتاريخ دمشق: (٢١/٤٦٢) ت (٢٦٠٢).

(٣) تاريخ دمشق: (٢١/٤٦٢).

قيادة «المُجَرَّدة»[١] في مسير الاقتراب إلى القادسية وذلك سنة أربع عشرة الهجرية (٦٣٥م)[٢].

وأبلى سلمان أعظم البلاء في القادسية

قال ابن الأثير: «لحق سلمان بن ربيعة الباهلي، وعبدالرحمن بن ربيعة بطائفة من أبطال الفرس قد نصبوا راية، وقالوا: لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه[٣].

وعند ابن عساكر: أبصر سلمان بن ربيعة أناسا من الأعاجم تحت راية لهم قد حضروا لها وجلسوا تحتها، وقالوا: لا نبرح حتى نموت، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم، وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت والآخر عبدالرحمن بن ربيعة ذو النور أخوه، ومال على آخرين قد تكتّبوا[٤] وتعبّوا[٥] للمسلمين فطحنهم بخيله[٦].

قال الشعبي: كان يُقال لَسَلمان أبصرُ بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور[٧]

وقد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة استحيوا من الفرار وقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس، وكان قتال أهل الكتائب من الفرس على وجهينْ؛ منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قُتِل، وكان ممن ثبت وقُتِل شهريار بن كنار، وكان بإزاء سلمان بن ربيعة[٨]

---

(١) المجردة: هي قوة عسكرية من الفرسان تتحرّك أمام المقدمة لاستطلاع قوات العدو والحصول على المعلومات عنه وحماية المقدمة.

(٢) تاريخ الطبري: (٩/٣).

(٣) الكامل: (٣٣١/٢).

(٤) تكتبّوا: أي اجتمعوا.

(٥) في الطبري: نصبوا.

(٦) تاريخ دمشق: (٤٧٠/٢١).

(٧) تاريخ دمشق: (٤٧٠/٢١).

(٨) الكامل: (٣٣١/٢).

وكان سعد بن أبي وقاص قد جعل على قسمة الغنائم سلمان، فجمع ما في القصر والإيوان[١] والدور، وأحصى ما يأتيه به الطلب، وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة وهربوا من كل وجه، فما أفلت أحدهم بشيء إلا أدركه الطلب وأخذوا ما معه.

وقُسِّمت الغنيمة وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب[٢]، وقيل: إن الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف فقسّمها سلمان بن ربيعة، وبعث سعد بالأخماس إلى عمر[٣] وذلك في سنة ١٦هـ.

وفي سنة ١٧ هـ حشد هرقل ملك الروم قوات كثيرة لما أرسل إليه أهل الجزيرة بأنهم سيعاونون الروم فلما علم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بذلك ضمّ إليه مسالحه وعسكر بفناء حمص، وكتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك، وكان عمر قد اتخذ في كل مصرٍ خيولًا على قدره من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن كان، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس، وكان القيِّم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفر من أهل الكوفة، وفي كل مِصر من الأمصار الثمانية على قدره، فلما سمع عمر الخبر كتب إلى سعد أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرِّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى «**حمص**»، فإن أبا عُبيدة قد أُحيط به، وتقدّم إليهم في الجد والحث»[٤].

وتحرك القعقاع ومعه سلمان الباهلي على رأس أربعة آلاف فارس من الكوفة إلى حمص، وقدم القعقاع بعد ثلاثة أيام من قتال المسلمين للروم وانتصارهم، فكتبوا إلى عمر بالفتح، وبقدوم المدد عليهم، والحكم في ذلك، فكتب إليهم أنْ

---

(١) قصر كسرى وإيوان كسرى بالمدائن.
(٢) الكامل: ٢/٣٦٠.
(٣) الكامل: ٢/٣٦٦.
(٤) تاريخ الطبري: (٣/١٥٤)، والكامل: (٢/٣٧٧).

أشركوهم فإنهم نفروا إليكم، وانفرق لهم عدوكم، وقال: «**جزى الله أهل الكوفة خيرا، يكفون حوزتهم، ويمدون أهل الأمصار**»[(١)].

وفي سنة ١٥ هـ كان سلمان الباهلي في جيش أبي عبيدة، فبعثه إلى «**قورس**» بخيله فنزل في حصن بقورس[(٢)] فنسب إليه فهو يُعرف بحصن سلمان.

وكان لسلمان ذكر في فتوح الشام، وكان فتح (مَنْبج) على يد سلمان[(٣)].

ثم خرج إلى العراق فيمن خرج من المدد إلى القادسية فشهدها فولاه عمر قضاء المدائن، وهو أول من قضى بالعراق، وأول من قضى بالكوفة[(٤)].

عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: رأيت سلمان بن ربيعة جالسًا بالمدائن على قضائها، استقضاه عمر بن الخطاب أربعين يوما فما رأيت بين يديه رجلينْ يختصمان بالقليل ولا بالكثير، فقيل لأبي وائل: مِمّ ذاكَ؟قال: من انتصاف الناس فيما بينهم[(٥)].

وترك سلمان القضاء لميدان الطعن والجهاد، ففي سنة ٢٢هـ بعث عمر سراقة ابن عمرو لفتح (الباب)، وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة[(٦)]، وأبلى سلمان أعظم البلاء في فتح «**الباب**» وأقرّ الله أعين المسلمين بالنصر والفتح.

ولما فرغ سراقة من فتح الباب أرسل قادته إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجّه بكيرا إلى موقان، وحبيبًا إلى (تفليس)، وحذيفة إلى (جبال اللان)، وسلمان إلى الوجه الآخر، ولم يفتح أحد من أولئك القوّاد إلا بكير فإنه فضّ أهل موقان[(٧)].

---

(١) تاريخ الطبري: (١٥٠/٣)، والكامل: (٣٧٧/٢).
(٢) قورس: مدينة بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب. . الكامل: (٣٤٣/٢).
(٣) ابن خلدون: (٩٤٧/٢).
(٤) تاريخ دمشق: (٤٦٦/٢١).
(٥) المصدر السابق: (٤٦٨/٢١).
(٦) الكامل: (٤٣٠/٢).
(٧) الكامل: (٤٣٠/٢، ٤٣١).

- **البطل الفاتح:**

في سنة ٢٥ هـ استعمل عثمان بن عفّان رضي الله عنه الوليد على الكوفة فبعث سلمان بن ربيعة إلى أهل أرمينية في اثني عشر ألفا فسار في أرمينية يقتل ويسبي ويغنم، ثم انصرف وقد ملأ يديه حتى أتى الوليد، فعاد الوليد وقد ظفر وغنم وجعل طريقه على الموصل. ثم أتى (الحديثة)[1] فنزلها، فأتاه بها كتاب عثمان فيه «أن معاوية بن أبي سفيان كتب إليّ يُخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة، وقد رأيت أن يمدّهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا، فابعث إليهم رجلًا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام».

فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي، فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان ابن ربيعة، فشنوا الغارات على أرض الروم فأصابوا الناس ما شاؤوا من سبي ملأوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا حصونا كثيرة.

وقيل: إن الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، وكان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية فوجهه إليها فأتى قاليقلا فحصرها وضيّق على مَن بها فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية، فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، ثم بلغه أن بطريق أرمينا قس واسمه الموريان قد توجّه نحوه في ثامنين ألفًا من الروم والترك، فكتب حبيب بذلك إلى معاوية يخبره، فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب فأمدّه بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف[2].

---

(١) الحديثة: هي حديثة الموصل، وهي بليدة كانت على دجلة على الجانب الشرقي قرب الزاب الأعلى.
(٢) الكامل: (٢/٤٧٨).

وكان سلمان الساعد الأيمن لحبيب بن مسلمة في فتح مناطق شاسعة من أرمينية وهي: «**أرْميناقس**» وهي بلاد ملطية وسيواس وقونية وما والاها من البلاد إلى خليج القسطنطينية» ونفذ المسلمون هجومهم الليلي بنجاح منقطع النظير وهزموا الروم، ولما تمّ ذلك عاد حبيب وسلمان إلى «**قاليقلا**».

واستعاد حبيب بن مسلمة بمعاونة سلمان فتح مناطق شاسعة من إرمينية، وفتحا مناطق شاسعة جديدة لأول مرة، وكان هذا الفتح في سنة خمس وعشرين الهجرية (٦٤٥م). لقد كان التعاون وثيقا بين حبيب وسلمان، فكان هذا الفتح العظيم من ثمرات هذا التعاون الوثيق في هذه الغزوة العظيمة في تلك المناطق النائية عن قواعد المسلمين الرئيسية والمتقدمة.

وسار سلمان إلى (أرّان)[١]، ففتح (البَيْلقان) صُلْحًا على أن أَمَّنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم الجزية والخراج.

ثم أتى سلمان مدينة (بَرْذعَة)[٢] فعسكر على (الثُّرْثور)[٣] نهر بينه وبينها نحو فرسخ، فقاتله أهلها أياما، وشنَّ الغارات في قراها، فصالحوه على مثل صلح (البلقان) ودخلها.

ووجّه سلمان خيله، ففتحت رساتيق[٤] الولاية ولاية (أَرّان) ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقرّ بعضهم على الجزية وأدّى بعضهم الصدقة وهم قليل، ووجّه سرية إلى (شمكور) ففتحوها، وهي مدينة قديمة ولم تزل

---

(١) أرّان: اسم لولاية واسعة كبيرة، بينها وبين أذربيجان نهر يُقال له الرسّ فما جاوره من جهة المغرب والشمال فهو من أرّان، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان. من هذه الولاية جنزة وبرذعة وبيلقان. وهي من أصقاع إرمينية.

(٢) بَرْذَعة: بلد بأقصى أذربيجان، وقيل هي قصبة أذربيجان، وقيل هي مدينة أرّان.

(٣) الثرثور: نهر بينه وبين برذعة نحو فرسخ واحد.

(٤) رساتيق: جمع رستاق، وهي كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يُقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد، وهو أخص من الكورة.

معمورة حتى أخربها السناوردية وهم تجمعوا لما انصرف يزيد بن أسد عن أرمينية فعظم أمرهم فعمرها بغا سنة ٢٤٠هـ وسماها المتوكلية.

وسار سلمان إلى مجمع (الرَّسّ) و(الكُرّ)[١]، ففتح قبلة، وصالحه صاحب سكر وغيرها على الإتاوة، وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهلْ مسقط والشابران ومدينة الباب ثم امتنعت بعده[٢].

● **الشهيد:**

ولي سلمان الباهلي غزو أرمينية في زمن عثمان واستُشهد البطل سلمان الخيل ببلنجر من بلاد أرمينيا قبل الثلاثين أو بعدها[٣].

قال خليفة: وفيها - يعني سنة تسع وعشرين - غزا سعيد بن العاص أرمينية، وقدم سلمان بن ربيعة الباهلي إلى ناحية منها، فلقي سعيد عدوا وتقدم سلمان إلى (بَلَنْجَر) فأصيب بها رحمه الله[٤].

وقال خليفة: قال أبو البراء غزا سلمان البلقان فصالحه، ثم أتى برذعة فصالحوه، واستولى عليها، وبعث صاحب خيله إلى (جُرْزان)[٥] فصالحوه، ومضى سلمان إلى (حِيزان)[٦] فصالحوه، ثم انتهى إلى أرض مسقط فصالحه ملكها، وأصيب سلمان ببلنجر.

وقال خليفة[٧]: وفيها - يعني سنة ثلاثين - أصيب معضد الشيباني، ويقال: سلمان بن ربيعة فيها أيضًا.

---

(١) مجمع الرس والكرّ: ملتقى النهرين الرّسّ والكرّ والكرّ: نهر بين أرمينية وأرّان. والرسّ يمرّ بإران.

(٢) الكامل ٤٧٩/٢ - ٤٨٠.

(٣) الإصابة: (١١٧/٣).

(٤) تاريخ خليفة: ص ١٦٣.

(٥) جُرزان: اسم جامع لناحية أرمينية قصبتها تفليس.

(٦) حيزان: من مدن أرمينية قريبة من شروان.

(٧) تاريخ خليفة: ص ١٦٥.

وقال أبو الخطاب الأزدي: أصيب سلمان سنة إحدى وثلاثين.

- **العابد:**

كان سلمان صوّاما اشتهر ذلك عنه، فقد قال البراء بن قيس: أرسلني عمر إلى سلمان بن ربيعة آمره أن يفطر وهو محاصر(١).

قال ابن حبان عن سلمان: كان رجلًا صالحا يحج كل سنة(٢).

وقال الحافظ ابن عساكر: بلغني أنه كان يغزو سنة ويحج سنة(٣).

ونزل زيد بن صُوحان على سالم بن ربيعة كأنه ينظر ما يعمل، فكان إذا تعارّ من الليل قال: سبحان اللّه رب النبيين وإله المرسلين، قال: ثم يصلي ركعات ويقول: يا زيد اكفني نفسك يقظانا، أكفك نفسك نائما(٤).

- **سلمان الخيل القائد:**

لما بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه، كتابًا إلى الوليد بن عقبة عامله على الكوفة يأمره أن يرسل نجدة من أهل الكوفة إلى أهل الشام بقيادة رجل «ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه» لم يتردّد الوليد لحظة في اختيار سلمان لهذا الواجب البالغ الخطورة، فاختاره من بين عدد كبير من القادة أصحاب الفتوح والأيام الذين كانوا معه أو كانوا في الكوفة، ذلك لأن سلمان كان حقا مثالا رائعا من أمثلة النجدة والبأس والشجاعة بالإضافة إلى ورعه وتقواه لقد كان شجاعا مقداما سريعًا إلى النجدة خبيرًا بفنون الحرب للمارسته الطويلة لها، وله تجارب طويلة في قيادة الرجال، وكان «أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجزور» مما يدلّ على أنه كان من الرماة الماهرين.

وكان ماهرًا في الفروسية، خبيرًا بالخيل، وكان يلي الخيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) تاريخ دمشق: (٢١/٤٦٥).
(٢) الإصابة: (٣/١١٧).
(٣) تاريخ دمشق: (٢١/٤٦٢).
(٤) تاريخ دمشق: (٢١/٤٧٣).

فكان يُقال له سلمان الخيل. . وكان سلمان يتولى الخيل بالكوفة.

وكان سلمان أوّل من فرّق بين العِتَاق والهُجُن[(١)] .

فعن أبي عمر وابن العلاء: أن عمر بن الخطاب شكَّ في العتاق والهجُن من الخيل، فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي بطست من ماء، أو بترس فيه ماء فوضع بالأرض، فما ثنى سنبكه هجّنه، وما شرب ولم يثن سنبكه عرّبه، وذلك لأن في أعناق الهُجُن قصرًا، فهي لا تنال الماء غلّا على تلك الحال، وأعناق الخيل العتاق طوال فهي لا تثني سنبكها لطول أعناقها[(٢)] .

وكان شجاعًا في فروسية، وقال سلمان ﵁: «قتلتُ بسيفي هذا مائة مستلئم، كلهم يعبد غير الله، ما قتلتُ رجلًا منهم صبرا»[(٣)] .

إنه لا يقتل حتى عدوه الكافر بالله، ولا يقتله في ساحة القتال صبرا،بل يُنذره، ثم يصاوله مصاولة الأنداد، ويقتله عندما يجد فرصة لقتله، فلا يكون هذا القتل غدرًا، ولا يكون صبرًا.

وكان شديد الضبط، يفرض سيطرته الكاملة على رجاله، ولا يسكت أبدًا على مخالفة، وتلك مزية من أهم مزايا القائد الفذّ: التمسك بالضبط المتين، وحمل المرؤوسين على الطاعة وفرض السيطرة التامة. قال أبو وائل: «غزونا مع سلمان بن ربيعة (بلنجر) فحرّج علينا أن نحمل على دواب الغنيمة، ورخص لنا في الغربال والحبل والمنخل[(٤)] »، فهو قائد مسيطر، يتوخّى المصلحة العامة، ولا يفرّط فيها قيد أنملة.

وكان من القادة الذين يبيّتون عدوهم (يهاجمونه ليلا)، والهجوم الليلي يحتاج

(١) الإصابة: (١١٧/٣). والعتاق جمع عتق، وجواد عتيق: فرس أصيل رائع، والهُجُن: جمع هجين، والهجين: غير الأصيل، والهجنة في الناس والخيل إنما تكون من قبل الأم، فإذا كان الأب عتيقا أي كريما والأم ليست كذلك، كان الولد هجينا.

(٢) تاريخ دمشق: (٤٧٢/٢١ - ٤٧٣).

(٣) الاستيعاب: (٦٣٣/٢)، والمستلئم: الجندي الذي لبس عدّته وأصبح جاهزًا للقتال.

(٤) الاستيعاب: (٦٣٣/٢).

إلى تمتع القطع المقاتلة بالضبط المتين والتدريب الجيد، وتمتع القائد بالسيطرة الكاملة والمقدرة الفائقة والكفاية العالية.

كما أن الهجوم الليلي يؤمِّن مبدأ: (المباغتة) أهم مبادئ الحرب على الإطلاق.

كان يقود رجاله من الأمام يقول لهم: اتبعوني، ولا يقودهم من الخلف، يقول لهم: تقدموا، ثم يبقى هو في الخلف.

ولقد وُفّق في الانسحاب بجيش المسلمين بعد مقتل أخيه عبدالرحمن في بلنجر وحمى المسلمين من هزيمة كادت تأتي على كل الجيش، وأكمل الانسحاب تحت قيادته وسيطرته إلى جيلان وجرجان ليعيد المسلمين الكرة على العدو . فلله ما أبرعها من خطة رسمها سلمان الخيل.

لقد كان مثالًا للمجاهد الصادق المحتسب المجاهد لتكون كلمة اللَّه هي العليا لا يبالي على أيّ جنب كان في اللَّه مصرعا، وسقط البطل مضرجا في دمائه شهيدًا في سبيل الله.

❑ **ويذكر التاريخ لبطلنا أنه:**

- كان أول قاضٍ في العراق، قضى في القادسية والمدائن والكوفة.
- وأنه كان على القسمة في «**المدائن**» وباب الأبواب.
- ويذكر الآثار الجيدة في فتوح العراق (القادسية) وأرض الشام.
- يذكر له فتوحاته في (أذربيجان) و(إرمينية) وبلاد الخزر.
- يذكر له مسارعته في نجدة أهل الشام عندما أحدق بهم خطر الروم من الشمال.

فرضي اللَّه عن الفقيه المحدث، العابد الصوّام القوّام، القاضي العادل، الأمين النزية، الإداري الحازم، الفارس المغوار، البطل الشهيد، والقائد الفاتح سلمان بن ربيعة الباهلي(١).

---

(١) انظر قادة الفتح الإسلامي في أرمينية: ص ١٧٠ - ١٧٢ بتصرف.

(٤٢١) شهاب الحرب.. القائد الفاتح.. حبيب الروم
حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرِيّ القرشي رضي الله عنه
فاتح شطر إرمينية وشِطر بلاد الروم

هو الصحابي أبو عبدالرحمن حبيب بن مَسْلمة بن مالك الأكبر بن وَهْب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك، أبو مسلمة، ويقال: أبو سلمة الفهريّ[١] قال البخاري له صحبة، وكذا قال الذهبي، وقال ابن معين: أهل الشام يثبتون صحبته، وأهل الشام يُنكرونها. والمثبت عند زيادة علم على النافي. قال ابن عساكر «**صحب النبي وروى عنه**». وكانوا لا يؤمرون إلا الصحابة.

روى ابن وهب عن مكحول، قال: سألت الفقهاء: هل كان لحبيب صحبة؟ فلم يعرفوا ذلك، فسألت قومه، فأخبروني أنه كان له صحبة[٢].

عن حبيب بن مسلمة الفهري أنه أتى النبي ﷺ وهو بالمدينة ليراه، فأدركه أبوه، فقال: يا رسول اللَّه يدي ورجلي، فقال له: «**ارجع معه فإنه يوشك أن يهلك**»، فهلك في تلك السنة[٣] وفي رواية: أن حبيب بن مسلمة قدم على النبي ﷺ بالمدينة غازيًا، وأن أباه أدركه بالمدينة، فقال مسلمة للنبي ﷺ: يا نبي الله، إني ليس لي ولد غيره، يقوم في مالي وضيْعتي وعلى أهل بيتي، وأن رسول اللَّه ﷺ ردّه معه، وقال: «**لعلك أن يخلو لك وجهك في عامِك، فارجع يا حبيب مع أبيك**» فرجع

(١) انظر أسد الغابة (١/٦٨٢) ت(١٠٦٨)، والإصابة (٢/٢٢) ت(١٦٠٥) وطبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٧)، وطبقات خليفة ت(١٦٢)، (٢٨٣٠)، والاستيعاب ت(٤٨٨)، وتاريخ دمشق (١٢/٦٢) ت (١١٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/١٨٨) ت(٣٧).

(٢) أسد الغابة (١/٦٨٢).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/٢٨٧)، وتاريخ دمشق (١٢/٦٦).

فمات مسلمة في ذلك العام، وغزا حبيب فيه[١].

قال محمد بن عمر (الواقدي): «والذي عند أصحابنا في روايتنا أن رسـول الله ﷺ، قُبِض ولحبيب بن مسلمة اثنتا عشر سنة، وأنه لم يغز معه شيئًا، وفي رواية غيرنا أنه قد غزا مع رسول الله ﷺ، وحفظ عنه أحاديث ورواها»[٢].

وفي رواية: أن النبي ﷺ قُبض وحبيب ابن اثنتين وعشرين[٣] وهي تتفق مع سير الحوادث، لأن حبيبًا لا يمكن أن يأتي النبي ﷺ للغزو وهو ابن عشر سنين، أو إحدى عشرة سنة، ولأنه لا يمكن أن يصرف أمور والده الإدارية في مثل هذه السن المبكرة ولأنه تولى قيادة كردوس في معركة اليرموك التي كانت في سنة ١٣هـ، ولا يمكن أن يتولى مثل هذه القيادة وهو ابن أربع عشرة سنة، لذلك فمن المعقول جدًّا أن يكون عمره حين قُبِض رسول الله ﷺ اثنتين وعشرين سنة.

والظاهر أنه أسلم عام الفتح وكان فتح مكة سنة ثمان الهجرية، فأتى النبي ﷺ في تلك السنة ليشارك في الجهاد تحت لوائه، ولكن النبي ﷺ ردّه، فمات أبوه، فحضر غزوة (تبوك) التي كانت سنة تسع الهجرية[٤].

وقال مصعب بن عبدالله الزبيري: كان شريفًا قد سمع من النبي ﷺ، يُقال له: حبيب الروم لكثرة دخوله عليهم. وقال الزبير بن بكار: كان يُقال له: «**حبيب الروم**» من كثرة دخوله عليهم وما ينال منهم من الفتوح.

وأمه: زينب بنت نافش بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام: سنة اثنتين وأربعين توفى فيها حبيب بن مسلمة

---

(١) تاريخ دمشق (٦٦/١٢).
(٢) طبقات ابن سعد (٢٨٧/٧).
(٣) المحبر (٢٩٤).
(٤) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ص (١٧٤).

الفهري[١] تُوفي وهو دون الخمسين سنة.

وقد نال حبيب رضي الله عنه شرف الصحبة والجهاد تحت راية رسول الله ﷺ.

● **جهاده:**

بعد وفاة رسول الله ﷺ خرج حبيب إلى الشام مجاهدًا في حياة أبي بكرن وشهد اليرموك أميرًا على بعض كراديسه، وعظم بلاؤه وظهرت بطولته وشجاعته في اليرموك وشهد أكثر معارك فتح أرض الشام.

وفي سنة ١٥هـ سار أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية، وقد تحصّن بها كثير من الخلق من قِنَّسرين وغيرها، فلما فارقها لقيه جمع العدو فهزمهم وألجأهم إلى المدينة، وحاصرها من جميع نواحيها، ثم إنهم صالحوه على الجلاء أو الجزية فجلا بعض وأقام بعض فأمّنهم ثم نقضوا، فوجّه أبو عبيدة إليهم عياض بن غَنْم، وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول، وكانت أنطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين، فلما فُتِحت كتب عمر إلى أبي عبيدة أنْ رتِّبْ بأنطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة ولا تحسبن عنهم العطاء[٢].

وبعث أبو عبيدة جيشًا مع حبيب بن مسلمة إلى (قاصرين)[٣]، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج[٤]، ولم يكن الجسر يومئذ وإنما اتخذ في خلافة عثمان، واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية إلى الفرات.

واشترط مسلمة عليهم أن يخبِّروا المسلمين بخبر الروم.

وعاد أبو عبيدة إلى فلسطين، وكان بجبل اللكام مدينة يُقال لها: جُرجُرومة

(١) تاريخ دمشق (١٢/٨٠).
(٢) الكامل (٢/٣٤٢- ٣٤٣).
(٣) قاصرين: بلد كان بقرب بالس.
(٤) منبج: مدينة كبيرة بينها وبين حلب عشر فراسخ.

وأهلها يُقال لهم «**الجراجمة**»، فسار حبيب بن مسلمة إليها من أنطاكية فافتتحها صُلْحًا على أن يكونوا أعوانًا للمسلمين.

وسيّر أبو عبيدة جيشًا مع حبيب بن مسلمة إلى حصن «**الحدث**»(١) وإنما سُمِّي الحَدَث لأن المسلمين لقوا عليه غلامًا حدثًا فقاتلهم في أصحابه، وقيل: لأن المسلمين أصُيبوا به فقيل: درب الحدث، وكان بنو أمية يسمونه درب السلامة لهذا المعنى(٢)، ففتحه حبيب سنة ١٥هـ (٦٣٦م).

وفي سنة ١٧هـ أمدّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عياض بن غَنْم بحبيب، فقدم على عياض في الجزيرة، وقاتل تحت لوائه، واستعمله عمر بن الخطاب على عجم الجريرة وحربها، والوليد بن عقبة على عربها(٣).

وسيّر عياض صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة على رأس عسكر إلى حران لحصرها وسار هو إلى الرها فلما انتصر على أهل الرها وصالحهم، عاد إلى حرّان فوجد صفوان وحبيبًا قد غلبا على حصون وقرى من أعمال حَرّان فصالحه أهلها على مثل صلح الرها(٤).

ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة إلى «**ملطية**» ففتحها عنوة، ثم نقض أهلها الصلح، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة وجّه إليها حبيب بن مسلمة أيضًا ففتحها عنوة، ورتّب فيها جندًا مع المسلمين مع عاملها(٥).

وفي سنة ٢٢هـ لما بعث عمر سراقة بن عمرو ذا النور لفتح «**الباب**» أمدّه

---

(١) حصن الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويُقال لها الحمراء؛ لأن تربتها جميعًا حمراء، وقلعتها على جبل يُقال له: الأحيدب.

(٢) الكامل (٢/٣٤٤).

(٣) الكامل (٢/٣٧٨).

(٤) الكامل (٢/٣٧٨).

(٥) الكامل (٢/٣٨٠).

بحبيب بن مسلمة من الجزيرة، وجعل مكانه زياد بن حنظلة [١]، وشهد حبيب فتح «**باب الأبواب**»، وكان أحد الشهود الذين وقعّوا على وثيقة الصلح بين سراقة بن عمرو وملك «**باب الأبواب**» [٢].

ووجه سراقة إلى (تَفْلِيس) فلم يستطع حبيب فتحها في هذه المرة لأن قواته لم تكن كافية وكانت قليلة جدًّا بالنسبة إلى ضخامة قوات العدو.

❑ الفاتح: في خلافة عثمان

في سنة ٢٥هـ اضطربت الأمور في أرمينية، وكان على الوليد بن عقبة عاملًا على الكوفة فأتاه كتاب من أمير المؤمنين عثمان وهو بالحديثة فيه «أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة فإذا أتاك كتابي هذا، فابعث إليهم رجلًا له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه والسلام».

فقام الوليد في الناس وأعلمهم الحال، وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي فانتدب معه ثمانية آلاف فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة فشنوا الغارات على أرض الروم فأصاب الناس ما شاؤوا من سبي وملأوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا حصونًا كثيرة.

وقيل: إنّ الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص، والصواب أنه الوليد بن عقبة، لأن سعيدًا تولى الكوفة سنة ثلاثين الهجرية، والفتح جرى سنة خمس وعشرين الهجرية.

وكان سبب ذلك أنّ عثمان كتب إلى معاوية يأمره أنْ يغزي حبيب بن مسلمة

---

(١) الكامل (٢/٤٣٠).

(٢) الطبري (٣/٢٣٧).

في أهل الشام أرمينية فوجّهه إليها فأتى (قالقيلا) فحصرها وضيّق على مَنْ بها فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية فجلا كثير منهم فلحقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها فيمن معه أشهرًا، وإنما سُمِّيت قاليقلا لأن امرأة بطريق أرميناقس كان اسمها قالى بنت هذه المدينة فسمّتها قالي قله تعني إحسان قالى، فعربتها العرب فقالت «قاليقلا».

وبلغ حبيب أن بطريق «**أرميناقس**» - وهي بلاد «**ملطية**» و(سيواس)[(١)] و(اقصرا) و(قونيّة)[(٢)]، وما والاها من البلاد إلى خليج القسطنطينية - واسمه «**الموريان**» قد توجّه نحوه في ثمانين ألفًا من الروم، والترك فكتب حبيب بذلك إلى معاوية يخبره، فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى الوليد يأمره بإمداد حبيب، فأمده بسلمان.

وأجمع حبيب على تبييت الروم[(٣)] فسمعته امرأته أم عبدالله بنت يزيد الكلبية فقالت: أين موعدك؟ فقال: سرادق الموريان أو الجنة.

ثم بيّتهم فقتل من وقف له، ثم أتى السرادق فوجد أمرأته قد سبقته إليه فكانت أول امرأة من العرب ضُرب عليها حجاب سرادق ومات عنها حبيب فخلفه عليها الضحاك بن قيس فهي أم ولده[(٤)].

- **ولنا وقفة:**

لَئِنْ كان النساءُ كما ذكرنا لفُضِّلَت النساء على الرجال

أمالكَ بالرجال أسوة؟ أتسبقك وأنت رجلٌ نِسوة؟

---

(١) سيواس: بلدة كبيرة تبعد عن القسطنطينية (٤٤٠) ميلا إلى شرق جنوبها الشرقي، وهي بلدة معروفة في تركيا.. انظر معجم البلدان (٢/٢٦٢).

(٢) قونية: من أكبر بلاد الروم، وهي قريبة من «سيواس» في تركيا.

(٣) أي الهجوم عليهم ليلا.

(٤) الكامل (٢/٤٧٨- ٤٧٩).

كذاك الفخرُ يا هِممَ الرجالِ تعالَيْ فانظري كيف التعالي

هذي ثمار باسقات من حديث المجاهدات الصالحات.. فتعالى يا ابنة الإسلام والعرب فاقطفي الثمار الدانيات، ولا تستبدليها بثمار الحنظل والمُرِّ من شجر الغرب الكريه الريح والرائحة والثمار كثير الشوك.

يا دره حفظت بالأمس غالية واليوم يرجونها للهو واللعب

ولما انهزمت الروم عاد حبيب إلى قاليقلا، ثم سار منها فنزل (مربالا) فأتاه بطريق (خلاط)[1] بكتاب عياض بن غنم بأمانه فأجراه عليه وحمل إليه البطريق ما عليه من المال ونزل حبيب خلاط.

ثم سار منها فلقيه صاحب (مُكس) وهي من (البُسْفُرْجان)، فقاطعه على بلاده. ثم سار منها إلى (أزدَشاط) وهي القرية التي يكون فيها القرمذ الذي يُصبغ به فنزل على نهر دبيل وسرّح الخيول إلى (دبيل) فَحصرها فتحصن أهلها، فنصب عليهم منجنيقا فطلبوا الأمان فأجابهم إليه. وجالت خيوله فنزلت جرنى وبلغت أشوش وذات اللجم ووادي الأحرار وغلبت على جميع قرى دبيل.

ووجه سرية إلى (سِرَاج طيْر) و(بَغْرَوَنْد)، فصالحه بطريقها على أتاوة يؤديها وعلى مناصحة المسلمين وقِراهم ومعاونتهم على أعدائهم، وكان كتاب صلح دبيل:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم: إني أمّنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم فأنتم آمنون الوفاء لكم بالعهد ما وفَّيتم وأديتم الجزية والخراج شهد الله، وكفى بالله شهيدًا» وختم حبيب بن مسلمة.

وقدم على حبيب بطريق (البُسْفُرَّجان)، فصالحه على جميع بلاده على خراج

---

(۱) خِلاط: قصبة أرمينية الوسطى، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة، وببردها في الشتاء يُضرب المثل.

يؤديه في كل سنه.

ثم أتى حبيب (النشوى) ففتحها على مثل صلح دبيل.

ثم أتى حبيب (السِيْسجان)، فحاربه أهلها فهزمهم وغلب على حصونهم، وصالح أهل القلاع بالسيسجان على خرج يؤدونه ثم سار إلى (جُرْزان) فلما انتهوا إلى «**ذات اللجم**» [١] سرّحوا بعض دوابهم وجمعوا لجمها، فخرج إليهم قوم من العلوج فأعجلوهم عن الألجام، ثم إنهم كروا عليهم فقتلوهم وارتجعوا ما أخذوا منهم فسُمِّي الموضع ذات اللجم.

وأتى حبيبًا رسوُل بطريق [٢] جرزان وأهلها وهو يريدها فأدّى إليه رسالتهم، وسأله كتاب صلح وأمان لهم فكتب حبيب إليهم: «**أما بعد، فإن نقلي رسولكم قدم عليّ وعلى الذين معي من المؤمنين فذكر عنكم أنا أمة أكرمنا اللّه وفضّلنا، وكذلك فعل اللّه وله الحمد كثيرا، وصلى اللّه على محمد نبيه وخيرته من خلقه وعليه السلام، وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا وقد قوّمت هديتكم وحسبتها من جزيتكم وكتبت لكم أمانًا واشترطت فيه شرطًا فإن قبلتموه ووفّيتم به وإلّا فأذنوا بحرب من اللّه ورسوله والسلام على من اتبع الهدى**».

وسار إلى (تَفْليس) [٣] فصالحه أهلها وهي من جرزان وكتب لهم:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس من منجليس من جرزان القرمز بالأمان على أنفسهم وبيعهم وصوامعهم وصلواتهم ودينهم على إقرار بالصغار والجزية على كل أهل بيت دينار، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفًا للجزية، ولا لنا أن نفرق بينهم استكثارًا منها، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء اللّه ورسوله ﷺ ما استطعتم، وقري المسلم المحتاج

---

(١) ذات اللجم: موضع بأرض جُرزان من نواحي تفليس.

(٢) البِطْريق: القائد من قوّاد الروم، وهو أيضًا: رئيس رؤساء الأساقفة.

(٣) تَفْليس: بلد بأرمينية الأولى، وهي قصبة ناحية جُرزان قرب الباب.

ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا، وإن انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه إلى أدنى فئة من المؤمنين إلا أن يُحال دونهم، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فإخواننا في الدين، وإلّا فالجزية عليكم، وإنْ عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم، هذا لكم وهذا عليكم شهد اللَّه وملائكته وكفى باللَّه شهيدا».

وفتح حبيب عدة حصون ومدن تجاورها صلحا(١).

فتح حبيب حوارح وكسفربيس وكسال وخنان وسمسخي والجردمان وكستسجي وشوشت وبازليت صلحًا على حقن دماء أهلها وإقرار مصلياتهم وحيطانهم وعلى أن يؤدوا أتاوة عن أرضهم ورؤوسهم. وصالح أهل قلرجيت، وأهل ثريا ليت وخاخيط وخوخيط وإرطهال وباب اللات، وصالح الصنارية والدودانية على إتاوة(٢).

وبعث حبيب سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أرّان ففتح (البَيْلقان) صلحًا على أن أَمَّنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم واشترط عليهم أداء الجزية والخراج، ثم أتى سلمان برذعة فعسكر على الثرثور وهو نهر منها على أقل من فرسخ فأغلق أهلها دونه أبوابًا فعاناها أيامًا وشن الغارات في قراها، وكانت زروعها مستحصدة فصالحوه على مثل صلح البيلقان، وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام بها، ووجّه خيله ففتحت شفشين والمسفوان، وأود والمصريان والهرحليان وتبار وهي رساتيق وفتح غيرها ووجه سرية إلى (شمكور) ففتحها، وسار إلى مجمع (الرس) و(الكُرّ) ففتح تلك المناطق وصالح صاحب «**شرْوان**» وسائر ملوك الجبال وأهل (مسقط) و(الشابران) ومدينة باب الأبواب، ولقيه خاقان في خيوله خلف نهر البلنجر فقُتِل ـ رحمه اللَّه ـ وكتب حبيب إلى عثمان بن عفان بالفتح فوافاه كتابه وقد نُعي إليه

(١) الكامل (٢/٤٧٩)، وفتوح البلدان ص (٢٠٢- ٢٠٥).
(٢) فتوح البلدان ص (٢٠٥).

سلمان جاءه بالنعي قرظة بن كعب فهمّ عثمان أن يوليه جميع أرمينية ثم رأى أن يجعله غازيًا بثغور الشام والجزيرة لغنائه فيما كان ينهض له، وعاد حبيب إلى الشام[(١)].

لله در حبيب فقد «كان ذا أثر جميل في فتوح الشام وغزو الروم، قد علم ذلك منه عمر ثم عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ثم من بعده»[(٢)]، ورضي الله عن سلمان الخيل فقد كان خيرًا فاضلًا غزّاء»[(٣)].

وما أجمل قول أهل الشام في ثنائهم على حبيب الروم، قال شريح بن الحارث:

ألا كلّ من يُدْعَى حبيبًا ولو بدت مروءته يَفْدِي حبيب بني فِهْر
همام يقود الخيل حتى كأنما يطأن برَضْرَاض[(٤)] الحصى جاحِمَ الجَمْرْ[(٥)]

ويُروى أيضًا:

شهاب يقود الخيل حتى يُزيرَها حيا المنايا لا يشيب على وتر
تهبطن فاستصعدن حتى كأنما يطأن برضراض الحصى جاحم الجمرْ[(٦)]

وفي سنة ٣٥هـ ولّاه معاوية «**قِنِّسرين**»[(٧)]، ولكنه لم يكد يستقرّ في المدينة حتى بعثه معاوية على رأس جيش لنجدة الخليفة عثمان وفي هذا يقول حسّان بن ثابت.

إلا تُنيبوا لأمر اللّه تعترفوا كتائبًا عُصَبًا من خلفِها عُصبُ[(٨)]

---

(١) فتوح البلدان ص (٢٠٦، ٢٠٧).
(٢) فتوح البلدان ص (٢٠٠).
(٣) المصدر السابق ص (٢٠١).
(٤) الرضراض: الحصى الصغار في مجاري المياه.
(٥) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. - انظر الاستيعاب (١/ ٣٢٠- ٣٢١).
(٦) تاريخ دمشق (١٢/).
(٧) قنسرين: مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص.
(٨) ديوان حسّان بن ثابت (١/ ١٢٠) تحقيق د. عرفات، وتاريخ دمشق (١٢/ ٧٣) والبيت الأول في تاريخ دمشق (١٢/ ٧٣). هكذا

ألّا تبوؤا بحق الله تعترفوا بغارة غضب من خلفها غضب

فيهم (حبيب) شهاب الموت يقدمهم مُشمِّرًا قد بَدَا في وجهه الغضبُ

فلما بلغ وادي القرى بلغه مقتل عثمان بن عفان فرجع.

- **الإنسان:**

قال سعيد بن عبدالعزيز: استبان فضل حبيب بن مسلمة بالشام ولم يكن عمر يثبته حتى قدم عليه حاجا فلما رآه سلّم عليه، فقال عمر: إنك لفي قناة رجل، قال: إي واللَّه وفي سنانه، قال: افتحوا له الخزائن فليأخذ ما شاء. قال: فأعرض عن الأموال وأخذ السلاح(١).

قال سعيد بن عبدالعزيز: كان مجاب الدعوة(٢).

وقال شريح بن الحارث: «**كان حبيب بن مسلمة فاضلًا مجاب الدعوة**»(٣).

وعن سعيد بن عبدالعزيز قال: دخل الضحّاك بن قيس على حبيب بن مسلمة في مرضه الذي قُبض فيه فقال: ما كان بدء مرضك؟ قال: دخلت الحمام فأوتيت غفلة فجعلت على نفسي ألا أخرج منه حتى أذكر اللَّه ـ تَعَالَى ـ كذا وكذا مرة، فمرضت(٤).

وعن ابن رغبان: أن حبيب بن مسلمة دخل العُلْيا بحمص فقال: وهذا من نعيم ما ينعم به أهل الدنيا ولو مكثت فيه ساعة لهلكت، ما أنا بخارج منه حتى أستغفر اللَّه ـ تَعَالَى ـ فيه ألف مرة، قال: فما فرغ حتى ألقي الماء على وجهه مرارًا. وأُري رجل في منامه رؤيا فقيل له: بشر حبيبًا حبيب اللَّه بالوصيفين(٥).

- **القائد:**

ليس هناك شك في كفاية حبيب قائدًا متميزًا، فقد كان على صغر سنه ينتقل

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٧٣).

(٢) الإصابة (٢/٢٢).

(٣) الاستيعاب (١/٣٢٠، ٣٢١).

(٤)، (٥) تاريخ دمشق (١٢/٧٩).

من ساحة عمليات إلى ساحة عمليات أخرى، فاتحا مرة، ومددا مرّة أخرى، وكان النصر حليفة في كل معركة خاضها.

وبدأ جهاده بغزوة تبوك وهو يناهز العشرين من عمره القصير.

وحين رآه عمر بن الخطاب صلب العود قوي البدن، جرّبه تجربة عملية ليرى أيّ نوع من الرجال هو فعرض عليه خزائن المال وخزائن السلاح، فاختار السلاح وعفّ عن المال.

وتفضيل السلاح على المال من مزايا القائد الذي يتغلغل حب الجنديّة في أعماق نفسه.

وقد تولى قيادة كردوس في معركة اليرموك الحاسمة وهو ابن أربع وعشرين سنة، مما يدلّ على ظهور سماته القيادية مبكّرا وهو في ريعان الشباب.

وولّاه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عجم الجزيرة إداريا وقائدًا وليس من السهل أن يولي عمر كل إنسان مثل هذا المنصب الرفيع، لأن عمر كان يلتزم بصفات معينة في القائد قلّ أن تتوفّر في الرجال.

وأخيرًا ولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إرمينية) و(أذربيجان) وهي مناطق شاسعة وقيادة مهمة للغاية، نظرًا لشدة شكيمة أهلها ولبعدها عن قواعد المسلمين الرئيسية والمتقدمة، وكان عمر حبيب حين تولى إرمينية وأذربيجان ثلاثًا وثلاثين سنة ومارس القيادة والإدارة معًا بعد عمر بن الخطاب حتى توفّاه اللَّه وهو قائد أخطر منطقة في حدود الدوله الإسلامية الشمالية إرمينية.

ولقد كان شجاعًا غاية الشجاعة، مقدامًا غاية الإقدام: حدّث سعيد بن عبدالعزيز أن حبيب بن مسلمة لقي (الموريان) وحبيب في ستة آلاف والموريان في سبعين ألفًا، فقال حبيب: إن يصبروا تصبروا فأنتم أولى باللَّه منهم، وإن يصبروا وتجزعوا فإن اللَّه مع الصابرين، ولقيهم ليلا فقال: اللهم ابْدلنا قمرها واحبس عنا مطرها واحقن دماء أصحابي واكتبهم شهداء، ففتح اللَّه ـ تَعَالَى ـ له. وتواعد

الجلندح العبسي وعتبة بن جحدم قبة الموريان فوُجدا قتيلين على بابها[1].

ففتح اللّه له، فكان من أسباب انتصاره على عدوه بالإضافة إلى عامل الإيمان ـ الهجوم الليلي الذي باغت به العدو وجعل معنوياته تنهار ثم يولى الأدبار.

وكان مثالا شخصيًا حيًّا لرجاله في الشجاعة والإقدام، لا يبقى في الصفوف الخلفية مؤثرا السلامة، وإنما يقود رجاله ويكون أمامهم.

وحين عزم أن يُبيِّت الموريان سمعته امرأته يذكر ذلك، فقالت له: «**وأين الموعد؟**» فقال: «**سرادق الموريان أو الجنة**». وبيّت حبيب عدّوه، وقتل من صادفه في طريقه، فلما أتى السرادق وجد امرأته قد سبقته إليه»[2].

قال ابن أبي ذئب: بلغنا أن حبيب بن مسلمة غزا الروم فأخذوا رجلا فاتّهموه فأخبرهم أنه عين فقال: هذا ملك الروم في الناس، وراءهم الخيل، فقال لأصحابه: شيروا عليّ، فقال بعضهم: نرى أن تقيم حتى تلحق بك الناس ـ وكانوا منقطعين ـ، وقال بعضهم: نرى أن نرجع إلى نيترا ولا تقدم على هؤلاء، فإنه لا طاقة لنا بهم قال: أما أنا فأعطى اللّه عهدا لا أخنس به لأخالطنّهم، فلما ارتفع النهار حمل وحمل أصحابه وانهزم العدو وأصابوا غنائم كثيرة[3].

وكان يستشير رجاله ويتقبّل مشورتهم، وكان لا يستأثر بالرأي دونهم، بل كان يتصنّت ليتلقّف آراء رجاله ويطبّق ما يره حسنا، وينفِّذ ما يجده صوابًا، بالإضافة إلى عقد مؤتمرات الشورى قبل المعارك وفي أثنائها وبعدها.

لما دنا منه الموريان الرومي فغشي عسكره وهم يتحدثون على نيرانهم وسمع قائلًا يقول لأصحابه: لو كنت ممَّن يسمع حبيب مشورته لأشرت عليه بأمرٍ يجعل اللّه لنا وله نصرًا وفرجًا إن شاء الله. فاستمع حبيب لقولهن فقال أصحابه.

---

(١) تاريخ دمشق (٧٤/١٢).

(٢) الطبري (٣٠٩/٣)، والبلاذري (٣٠٩).

(٣) تاريخ دمشق (٧٥/١٢).

وما مشورتك؟ قال: كنتُ مشيرًا عليه ينادي في الخيول فيقدمها ثم يرتحل بعسكره يتبع خيله فتوافيهم الخيل في جوف الليل، وينشب القتال ويأتيهم حبيب بسواء عسكره مع الفجر، فيظنون أن المدد قد جاءهم، فيرعبهم الله، فيهزمهم بالرعب. فانصرف ونادى في الخيول فوجّهها في ليلة مقمرة مطيرة فقال: اللهم خَلِّ لنا قمرها واحبس عنا مطرها، واحقن لي دماء أصحابي، واكتبهم عندك شهداء. قال سعيد بن عبدالعزيز: فحبس اللَّه ـ تَعَالَى ـ عنهم مطرها، وجلالهم قمرها ووافاهم من السحر[١].

فهو حين بعث خيوله ليلًا ثم سار على أثر الخيل مبتعدًا عن ساحة المعركة، ظنّ العدو أن قوات حبيب قد انسحبت بعيدًا عنهم، لذلك لجأوا إلى الراحة والاطمئنان واستمتعوا بالأمن والدعة. ولكنهم لم يكادوا يستقرون إلّا وفاجأهم حبيب بهجومه الليلي، قاتلت خيوله أولا، ثم دخلت قواته الأخرى المعركة كأنها مدد جديد، مما فتّ في عضد عدوّه، واضطره إلى الفرار. وتلك خطة عسكرية بارعة، تيسّر فيها مبدأ (المباغتة)، وهو أهم مبدأ من مبادئ الحرب على الإطلاق.

وكان حبيب صاحب كيد[٢]: يفكرّ ويقدّر ثم يستشير رجاله ويستطلع ساحة القتال، ويحصل على المعلومات المستفيضة عن العدو، ثم يبني من بعد ذلك خطته العسكرية على هدى وبصيرة.

غزا حبيب الروم في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان على جماعة من المسلمين فاهتمّ عمر بأمرهم، فلما بلغه خبر خروج حبيب ومَن معه، خرّ ساجدا[٣] ومن الواضح أن جيش المسلمين يومذاك كان في خطر داهم، لذلك اهتمّ عمر بمصيرهم وأهمّه أمرهم.

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٧٤، ٧٥).
(٢) الطبري (٣/٣٠٩).
(٣) تاريخ دمشق (١٢/٧٤).

ولكن قيادة حبيب الواعية الحكيمة، أدت إلى خروج جيش المسلمين من المأزق الذي كان فيه ونجاته من الخطر الذي يُحدِق به.

إن أعمال حبيب العسكرية خطط مدبَّرة، ولم تكن خططا ارتجالية، لذلك رافق النصر أعلامه في أخطر ساحات القتال في الفتح.

وبالإضافة إلى هذا كان حبيب مؤمنًا حقًّا صادق الإيمان،

كان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يستحب إذا لقي عدوا أو ناهض حصنًا قال: لا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم، وإنه ناهض يومًا حصنًا، فانهزم الروم، فقالها المسلمون فانصدع الحصن.

وروي الطبراني عن ابن هبيرة، عن حبيب بن مسلمة الفهري ـ وكان مستجابا ـ أنه أُمِّر على جيش بدرب الدروب فلما لقي العدو قال للناس: سمعت رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمِّن سائرهم إلّا أجابهم اللَّه ـ تَعَالَى ـ**»، ثم إنه حمد اللَّه ـ تَعَالَى ـ وأثنى عليه وقال: اللهم احقن دماءنا، واجعل أجورنا أجور الشهداء. فبينا هم على ذلك إذْ نزل الهنبَاط ـ أمير العدو ـ وقد دخل على حبيب سرادقه، قال الطبراني: الهنباط بالرومية قائد الجيش(١).

وكان ذكيًّا المعيّ الذكاء، خبيرًا بالحروب لطول ممارسته لها، يطبِّق أكثر مبادئ الحروب أهمية، وكان صحيح القرار سريعه، يثق برجاله ويثقون به، وكان ذا شخصية قوية نافذة، وقابلية بدنية متفوقة، وكان كالمشرف من دابّة لطوله.

لقد كان حبيب قائدا فذًّا جمع مزايا القائد الفذّ: الطبع الموهوب، والعلم المكتسب، والتجربة العملية.

- **حبيب في التاريخ:**

فتح حبيب المناطق التي يسكنها غير العرب من الجزيرة، وقد كانت (الجزيرة)

---

(١) تاريخ دمشق (١٢/٧٧).

تُسكن من العرب ومن غيرهم قبل الفتح الإسلامي، و لا تزال كذلك حتى اليوم.

وفتح معظم (أرمينية) واستعاد فتحها أكثر من مرة حتى بلغ قريبًا من ساحل البحر الأسود.

وهذه الفتوح لسرعة إنجازها، وسعة رقعتها، وقلة تكاليفها المادية والمعنوية، تُعتَبر من الأعمال العسكرية الباهرة.

إن حبيب بن مسلمة، أسدى للفتح الإسلامي ـ قائدًا وإداريًّا ـ خدمات لا تُنسى، فهو بدون شك من ألمع قادة العرب والمسلمين، ومن ألمع إداريّيهم أيضًا.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الصحابي الجليل، الإداريّ الحازم، السياسي المحنّك، القائد الفاتح، حبيب بن مسلمة الفهري[1].

* * *

(١) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ص (١٨٨- ١٩٢) بتصرف.

(٤٢٢) الصحابي البطل قائد الميسرة في القادسية أبو يزيد شُرَحبيل بن السَّمْط الكِنْدِيّ رضي الله عنه

هو الصحابي أبو يزيد، ويُقال أبو السَّمْط شُرحبيل بن السمط بن شرحبيل بن الأسود بن جَبَلة بن عَدِيّ بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع ابن كنده الكِندي رضي الله عنه.

قال محمد بن سعد في الطبقة الرابعة: شرحبيل بن السّمط بن الأسود بن جبلة ابن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين جاهلي إسلامي، وفد إلى النبي ﷺ وأسلم، وقد شهد القادسية وولي حمص، وهو الذي افتتحها وقسّمها منازل[(١)].

والده هو السمط بن الأسود الكندي خرج في جماعة من المسلمين قبل فتح حمص ولقوا جمعا من الروم بين بيت لهيا والثنية فولّى الروم منهزمين نحو حمص على طريق قارا وأتبعوهم حتى وافوا حمص فألفوهم قد عدلوا عنها ورآهم الحمصيون وكانوا منخوبين لهرب هرقل عنهم وما كان يبلغهم من قوة كيد المسلمين وبأسهم وظفرهم فأعطوا بأيديهم وهتفوا بطلب الأمان، فأمّنهم المسلمون وكفّوا أيديهم عنهم فأخرجوا إليهم العلف والطعام وأقاموا على الأرند ـ وهو النهر الذي يأتي أنطاكية ثم يصب في البحر بساحلها ـ وكان على المسلمين السمط بن الأسود الكندي، فلما فرغ أبو عبيدة من أمر دمشق قدم حمص وصالحه أهلها.

وذكر بعض الرواة أن السمط بن الأسود الكندي كان صالح أهل حمص، فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه، وأن السمط قسم حمص خططا بين المسلمين حتى نزلوها، وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة[(٢)].

---

(١) تاريخ دمشق (٢٢/٤٥٧، ٤٥٨). انظر ترجمته في أسد الغابة (٢/) ت ( ) والإصابة (٣/) ت ( ) وتاريخ دمشق (٢٢/٤٥٥) ت (٢٧٢٨)، وطبقات ابن سعد (٧/٣٠٩) ت (٣٨٢٦).

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص (١٣٦- ١٣٧).

وفي الكامل في أحداث سنة ١٥هـ أنه «لما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب، فبلغه أن أهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجّه إليهم السمط الكندي فحصرهم وفتحها وأصاب فيها بقرًا وغنمًا، فقسم بعضه في جيشه، وجعل بقيته في المغنم»(١).

هذا ما كان من شأن الأب البطل، أما الابن فهو شرحبيل بن السمط.

قال البخاري: له صحبة، وتبعة أبو أحمد الحاكم. وأما ابن السّكن فقال: زعم البخاري أن له صحبة، ثم قال: يقال إنه وفد على رسول اللَّه ﷺ، ثم شهد القادسية، ثم نزل حمص فقسمها منازل.

وذكره البغوي وابن حبان في الصحابة ثم أعاده في التابعين.

ومما يقوى أن له صحبة أنه كان على الميسرة في القادسية وكانوا لا يُؤمِّرون إلا الصحابة.

● **جهاده:**

ثبت شرحبيل ووالده وابنه على الإسلام حين ارتدت كنده.. وكان له نكاية في جهاد المرتدين.

لما طابقت معاوية كلها على منح الصّدقة وأجمعوا على الردّة إلا ما كان من شرحبيل بن السمط وابنه، قاما في معاوية فقالا: واللَّه إن هذا القبيح بأقوام أحراز التنقّل، وإن الكرام ليكونون على الشبهة فيتكرّمون أن ينتقلوا عنها إلى أوضح منها مخافة العار، فكيف بالرجوع عن الجميل، وعن الحق إلى القبيح والباطل، اللهم إنا لا نمالئ قومنا على هذا، وإنّا لنادمون على مجامعتهم إلى يومنا هذا. وخرج شرحبيل والسّمط حتى أتيا زياد بن لبيد فانضما إليه.

قال سيف: واستعمل - يعني سعد بن أبي وقاص - على الميسرة يوم القادسية

---

(١) الكامل (٢/٣٤٢).

شرحبيل بن السمط بن شُرحبيلِ الكِنْدي، وكان غلامًا شابًّا، كان قد قاتل أهل الردة، ووفّى لله فعُرف له ذلك، وكان أبوه ممن تقدم إلى الشام مع أبي عبيدة.

وقال الشعبي: كان شُرحبيل بن السمط قد أراد أن يتبع أباه السمط، وكان السَّمْط ممن شهد اليرموك فلما ندب عمر كِنْدة إلى العراق وأَتَوْا إلى الشام انتدب فعجله عمر إلى سعد وأوصى سعدًا به في كتابه، وكان شُرحبيل رجلًا فنزع حين قدم على سعد فدفعه، فارتفع حتى غلب الأشعث على شرف كندة، وولي عليه في ذلك المسير، فكان شُرَحبيل من فرسان أهل القادسية المعلومين(١).

وفي الكامل في أحداث سنة ١٤هـ في المسير إلى القادسية: «جعل سعد على الرايات رجالًا من أهل السابقة، وولّيّ الحروب رجالًا على ساقتها، ومقدمتها، ورجلها، وطلائعها، ومجنباتها، ولم يفصل إلا بكتاب عمر، فجعل على المقدمة زهرة بن عبدالله بن قتادة بن الحوّية فانتهى إلى العذيب ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وجعل على الميمنة عبدالله بن المعتم ـ وكان من الصحابة أيضًا ـ واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي، وكان غلامًا شابًّا وكان قد قاتل أهل الردة(٢). وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢/٤٥٩): أن شرحبيل قدم مصر لغزو المغرب».

قال خليفة بن خياط في تسمية عُمال معاوية على حمص: شرحبيل بن السمط نحو من عشرين سنة(٣). ولما مات بحمص ﷺ حبيب بن مسلمة الفهري.

قال عبدالله بن يحيى الهوزني: حضرت مع حبيب بن مسلمة جنازة شرحبيل ابن السمط وهو الذي قسم حمص القِسمة الآخرة، أو قال الثانية في زمن عثمان، فتقدم حبيب بن مسلمة الفهري فأقبل علينا حبيب بوجهه كالمشرف على دابّة

(١) تاريخ دمشق (٢٢/٤٦٠).
(٢) الكامل (٢/٣٠١).
(٣) تهذيب التهذيب (٢/٤٨٩)، وتاريخ دمشق (٢٢/٤٦١).

لطوله يقول: صَلّوا على أخيكم واجتهدوا له في الدعاء وليكن من دعائكم له: **«اللهم اغفر لهذه النفس الحنيفة المسلمة واجعلها من الذين تابوا واتبعوا سبيلك وقِها عذاب الجحيم، واستنصروا اللَّه على عدوكم»**[١]. فرضي اللَّه عن الصحابي القائد البطل شرحبيل بن السمط الكندي.

* * *

---

(١) ابن سعد (٣٠٩/٧).

قادة فتح أرمينية

م	القائد الفاتح	البلاد المفتوحة	الإقليم	التاريخ		الخليفة
				هـ	م	
١	عياض بن غنم الفِهري	١- بَدْلِيس. ٢- خِلاط. ٣- العين الحامضة	أرمينية الرابعة.	١٧	٦٣٨	عمر بن الخطاب
٢	عثمان بن أبي العاص الثقفي	إرمينية الرابعة.	إرمينية الرابعة.	١٩	٦٤٠	عمر بن الخطاب
٣	سراقة بن عمرو	باب الأبواب	إرمينية الأولى	٢٢	٦٤٢	عمر بن الخطاب
٤	سلمان بن ربيعة الباهلي	١- البَيلَقان. ٢- بَرْذَعة. ٣- ولاية أرّان. ٤- شمكور. ٥- مجمع نهري الرسّ والكرّ. ٦- شروان. ٧- مَسْقط. ٨- الشّابِران.	إرمينية الأولى	٢٥	٦٤٥	عثمان بن عفان
٥	حبيب بن مسلمة الفهري	١- شِمْشاط.	أرمينية الرابعة	١٩	٦٤٠	عمر بن الخطاب
		٢- قاليْقَلا.	أرمينية الرابعة	١٩		
		٣- مِربالا.	أرمينية الرابعة	١٩		
		٤- فُكس.	أرمينية الرابعة	١٩		
		٥- أزجيش.	أرمينية الرابعة	١٩		
		٦- باجنيش.	أرمينية الرابعة	١٩		
		٧- أزْدَشاط.	أرمينية الثالثة	٢٥	٦٤٥	عثمان بن عفان
		٨- دَبِيل.	أرمينية الثالثة	٢٥		عثمان بن عفان
		٩- النَّشْوَى.	أرمينية الثالثة	٢٥		عثمان بن عفان
		١٠- البُسْفَرْجان.	أرمينية الثالثة	٢٥		
		١١- جُرزان.	أرمينية الثانية.	٢٥		
		١٢- تفليس.	أرمينية الأولى.	٢٥		